الباب الثانى
تميز الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم والدولة المسلمة أخلاقيا وسلوكيًا

(١)

إن التقسيمات الأساسية للناس فى الإسلام هى أن الناس ينقسمون إلى مؤمنين وإلى كافرين، وإلى منافقين.. هذا هو التقسيم الأساسى الذى يعترف عليه الإسلام، وأى تقسيم آخر يقسم على أساسه الناس لا يعترف عليه الإسلام ويحاربه.. فعلى أساس هذا التقسيم يكون الولاء والنصرة والإخوة والمحبة، أو الحرب والكره والبغض.

روى النسائى عن أنس قال: قال عليه الصلاة والسلام (ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهمنا وأن يحب فى الله ويبغض فى الله....).

وأخرج أبو داوود عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان).

وقال جل جلاله: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠] والحصر هنا يعنى أنه لا أخوة بين المؤمنين وغيرهم، وقال: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وكل تقسيم آخر يكون على أساسه الولاء والنصرة والتعاون، أو الصراع والحرب والخصام، هو انحراف عن الحقيقة الإسلامية لا يجوز للمسلم أن يتبناه أو يشارك فيه، أو يرضى عنه.. كأن يقسم الناس إلى أغنياء، وطبقة وسطى وفقراء، أو بالاصطلاح الشيوعى إلى بروليتاريا وبورجوازيين وأريستوقراطيين، أو تقدميين ورجعيين، أو اشتراكيين واقطاعيين، أو ماسونيين وغير ماسونيين.. ثم يعطى الإنسان ولاءه على هذا الأساس بصرف النظر عن الإيمان والكفر والنفاق فيوالى الكافرين والمنافقين.. إن مثل هذا كفر ونفاق وخروج عن الإسلام ومتى فعله المسلم لم يعد مسلما ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [الأنفال: ٧٣] ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩].

نعم قد نقسم المؤمنين إلى متقين وفاسقين، ونقسم الكافرين إلى ذميين ومعاهدين وحربيين، ونقسم الحربيين إلى أهل كتاب وغيرهم، ويكون لنا نتيجة لهذه التقسيمات مواقف تختلف أو تتفق، ولكن هذا كله ضمن الإطار العام (إيمان - كفر - نفاق) ولاء ومحبة وإخاء، وتضامن ونصرة وخلطة للمؤمنين، وكره وبغض وحرب وصراع من الآخرين، وإن التقوا معنا ببعض جزئيات الأمور فهذا لا يؤثر عملياً على نظرتنا الكبرى.. إن المسلمين زمن رسول الله ﷺ كانت قلوبهم مع الرومان ضد الفرس، بمعنى أنهم أحبوا أن ينتصر الرومان لأنهم أهل كتاب على الفرس لأنهم ليسوا كذلك، ولكن هذا ما أخرج المسلمين عن اعتبار أن الطرفين كافران، وأنهما عدوان لنا وأن علينا أن نحاربهما وأن نخاصمهما.

وما يجرى الآن من كون بعض المسلمين يتعاونون مع الكافرين على إخوانهم المسلمين لألتقاء الجميع على فكرة الاشتراكية، أو الديمقراطية أو غيرهما، يخرج هؤلاء المسلمون عن الإسلام ويجعلهم فى حالة ردة ونفاق.

إن الأمر وصل نتيجة لغموض هذا المعنى عند بعض المسلمين أن أوجدوا أحزاباً أو شاركوا بأحزاب وهيئات جعلوا أخوتهم لمن يدخلها فقط، مع ملاحظة أن هذه الأحزاب قادتها كافرون، ومؤسسوها من النصارى، أو اليهود، أو الملحدين، وأعطوا بسبب ذلك طاعتهم لهؤلاء الكفرة، والله عز وجل حرم هذا كله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٩] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٠] ﴿ **وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].

واعتبر القرآن من يفعل ذلك مرتدا ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ* ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ** ﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦].

إن الناس مؤمنون وكافرون ومنافقون، وعلى هذا الأساس، ومنه، يكون منطلق تفكيرنا وتصرفاتنا.

(٢)

والتقسيم السابق ناتج عن تقسيم الآراء والأفكار والأقوال، إلى ما يعتبر إيماناً أو كفراً أو نفاقاً.

فالإيمان عقيدة وتصور ينبع عنهما سلوك.

والكفر عقيدة وتصور ينبع عنهما سلوك.

والنفاق عقيدة وتصور ينبع عنهما سلوك.

فالتصور الإيمانى يشمل نظرة الإنسان إلى الكون والإنسان، وإلى مبدأ الكون والإنسان، ومصير الكون والإنسان، والمنهاج الذى يتلاءم مع هذا التصور العام المتلقى عن المصدر الوحيد الذى يحق للإنسان أن يتلقى منه وهو الله بواسطة رسوله الذى قامت الأدلة على رسالته، هذا التصور يستقر فى القلب فيطمئن به القلب، فيكون عقيدة ينبع عنها سلوك عملى وأخلاقى متسق معها.

والتصور الكفرى يشمل نظرة الناس إلى الكون والإنسان والحياة، والمنهاج الذى يسيرون عليه، ومصدر استمداده، فبعضهم يستمد هذا كله من أهواء ذاته، ومن ظنون البشر، ومن الحدس والخلط والخبط والكفر المبعثر، وبعضهم يستمد بعض أفكاره من الوحى المنسوخ والمخلوط بأوهام البشر فى التجاوز به عن حده، والانحراف فيه عن وضعه، وبعضهم لا يؤمن بشىء إلا بما وافق هواه.

وينتج عن هذا الخلط والخبط فى التصور ومصدر استمداده ما يشبه العقائد المستقرة، أو غير المستقرة فى النفس والقلب، ينتج عنها سلوك عملى وأخلاقى منسجم معها.

والتصور الآخر تصور المنافقين، هو نفس تصور الكافرين مع التظاهر بمسلك المؤمنين، فينتج عن ذلك سلوك أخلاقى وعملى متناقض، ولكنه منسجم مع هذا التناقض فى شخصية هؤلاء من حيث حقيقتهم وما يتظاهرون به. وإذن اختلاف الناس فى التصور ينتج عنه اختلاف فى العقيدة، ينتج عنه اختلاف فى السلوك، وهذه أمثلة يتضح فيها تأثير العقيدة على السلوك، واختلاف السلوك، كأثر عن اختلاف العقيدة.

(أ) المسلم المؤمن يرى أن المصدر الوحيد الذى يتلقى عنه التعاليم، والأوامر والنواهى، والحلال والحرام، هو الله.. ويعرف ذلك بواسطة رسول الله، وتكون مهمة علماء المسلمين توضيح هذه القضايا، وعلى هذا فالحلال الصريح يبقى حلالاً أبد الدهر، والحرام الصريح يبقى حراماً أبد الدهر، أما المجتمع الكافر فيرى أن له حق التشريع لنفسه بواسطة ممثليه أو نوابه، وعلى هذا فقد نجد قضية واحدة تكون مباحة، ثم تصبح محرمة، ثم تصبح مباحة بلا مسوغ عقلى أو عملى سوى أن هوى المجتمع قد تغير، كما حدث مثلا فى أمريكا يوم صدر قانون تحريم الخمر.. فأنت تجد أن الخمر كانت مباحة عندهم ثم حرمت لأنهم رأوا تحريمها، ثم عادوا بعد فأباحوها، مع أن الأبحاث العلمية أكدت ضرورة التحريم، ولكن أهواءهم تريد غير ذلك.

(ب) ومثلا آخر:

المسلم يرى أن العصمة ليست إلا للأنبياء، أما غيرهم فيمكن أن يخطئوا وعلى هذا فكل إنسان مهما بلغ يمكن أن يخطىء، والمسلم نتيجة لهذا يبقى متمسكاً بالمعصوم فقط وأقواله، وهو النبى، وعلى قدر قرب كلام غير النبى من الوحى يكون قربه من الحق.

لكن بعض أصحاب الديانات الأخرى يرون أن العصمة تكون لغير الأنبياء وعلى هذا فعندما يتكلم هذا المعصوم غير النبى يكون لكلامه الاعتبار الكامل، ويأخذ مكانه وكأنه وحى، فمهما أمر أطاعوه، ومهما نهى أطاعوه، وما أحل أصبح حلالاً وما حرم أصبح حراماً، وينتج عن هذا أنك تجد القضية الواحدة قال بها واحد من هؤلاء بأنها حلال. وأتى الآخر وحرمها، وأتى آخر وقال غير ذلك، مع أن القضية لم يتغير شيء من شروطها، وأوضاع حلها أو حرمتها.. فمثلاً تجد رجال الكنيسة قديماً يحرمون عمل قوم لوط، ثم يأتى واحد منهم فيطالب بإباحاته، مع أن العملية حرمت فى الماضى لأنها ليست عملاً فطرياً لقضاء الشهوة.

(جـ) ومثلا آخر:

المسلم يرى أن الله يحاسبه يوم القيامة على ما قل أو كثر من قول أو عمل أو تصرف، وأن الله وحده هو الذى يملك أمر المغفرة أو العقوبة، وأن كل إنسان مسئول عن عمله لا تحمل نفس عن نفس ذنباً ولا إثماً، وينتج عن هذا أن المسلم يبتعد عن الذنب، وإذا أذنب فإنه يتوب إلى الله وحده، ويبقى خائفا من عدم قبول التوبة، فيدفعه هذا إلى العمل الصالح ليعوض عن عمله السيء.

أما النصرانى فى زماننا مثلاً فإنه يرى أن المسيح يحمل عنه ذنبه، وأن البابا ونوابه يملكون غفران هذا الذنب إذا اعترف إليهم. وينتج عن هذا تساهل عنده فى أمر الذنب، ونسيان لله، واعتماد على البشر، من هذه الأمثلة البسيطة يتبين لنا كيف أن التصور يؤثر على العقيدة، وتؤثر هى بدورها على السلوك.. فأى سلوك إنما هو نتاج عقيدة أو غلبة نفس وهوى.

فالكفر أنواع، ولكل نوع عقيدة، وكل عقيدة ينتج عنها سلوك، وقد تتشابه النتائج السلوكية مع اختلاف العقائد الكافرة، وقد تختلف ولكنها تبقى متقاربة.

والإيمان عقيدة ينتج عنها سلوك، والنفاق كذلك.

(٣)

وقد يحدث أن نجد مؤمناً مسلماً له من أخلاق الكافرين والمنافقين نصيب، وقد نجد منافقاً أو كافراً له من أخلاق المؤمنين نصيب. فمثلاً الكرم خلق من أخلاق المؤمنين

فرسول الله ﷺ حدثنا أن الله عز وجل قال للجنة: (وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل) إذ الكافر لا يجد مبرراً لإنفاق المال دون مقابل سوى المصلحة أو المنفعة أو الغرض، أما المسلم فإن إكرام الضيف عنده هو مبرر الإنفاق.. لأن الله أمر بذلك، وإطعام الطعام مبرر الإنفاق لأن الله أمر بذلك.

والصدق خلق من أخلاق المؤمنين لأن الكافر لا يرى ما يمنعه عن الكذب إذا كان فى الكذب مصلحة، أو منفعة أو غرض، أما المؤمن فيحجزه عن الكذب كون الله عز وجل لا يرضاه للمسلم، وهكذا قل عن كل خلق.

ولكنا نجد أحياناً كافراً صادقاً، ونجد مؤمناً كاذباً، ونجد كافراً كريماً، ونجد مؤمناً بخيلاً ومرجع ذلك بالنسبة للمؤمن أن العقيدة لم تتمكن من قلبه، أو لم تتح له التربية الصالحة، أو لم تتح له البيئة المسلمة التى يعتاد بها على أخلاق الإيمان.

أما مرجع ذلك بالنسبة للكافر فيعود إما لأن هذا جزء من بقايا العقيدة الصحيحة التى كانت له قبل أن يدخل عليها الانحراف، أو لمجاورته لأهل الإيمان فيستفيد من أخلاقهم، أو لرؤيته التجريبية العملية أن أخلاق الإيمان أنفع على المدى الطويل من غيرها وأمتن فى بناء الحياة، أو أن خلقا خاصاً لابد منه، إذ أن البيئة تحتمه.

وعلى كل حال المظهر الأول شذوذ، والمظهر الثانى شذوذ.

ولو أنك أخذت مجتمعين أحدهما كافر قد تحلل من كل ما له علاقة بالوحى، والآخر مسلم لا زال للإسلام فيه تأثيره، فإنك تجد فارقاً كبيراً فى الأخلاق بحيث تتأكد أن الإيمان تنبع عنه أخلاقه، والكفر تنبع عنه أخلاقه. ففى ألمانيا مثلاً لا تجد شيئا الآن اسمه كرم، إذ من الأشياء العادية أن يأخذ الصديق من صديقه سيجارة ويدفع له ثمنها، وأن يدعو الأخ أخته إلى بيته ونفقتها وهى عنده على نفسها، ولكنك لا تجد مثل هذا أبداً فى المجتمع الإسلامى بوجه عام.

وعلى كل حال فإن الكفر لابد على المدى البعيد أن تظهر أخلاقه كلها وإن كان التدرج إليها بطيئاً، والإيمان لابد على المدى البعيد أن تظهر أخلاقه كلها إذا ما أتيحت له التغذية التامة وكان الاستعداد جيداً.

فأوروبا النصرانية فى الأصل، والتى تعتبر كافرة بصرانيتها المنحرفة وإن بقيت فترة من التاريخ محافظة على بعض الأخلاق الأساسية فى دين المسيح عليه السلام، إلا أن هذه الأخلاق تضاءلت حتى أصبحت فى النهاية عدماً، إذ الكفر ذلك البذرة الشيطانية الخبيثة لا يمكن أن يكون ثماره إلا خبثاً.

والمسلم الذى يغذى إيمانه لابد أن يأتى يوم وقد ظهرت عليه أخلاق الإيمان كلها، فالبذرة الربانية الصالحة لا تكون ثمارها إذا أحسن رعايتها إلا صالحة.. وقد قال

الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ - ٢٦] .

(٤)

وهل ينفع الكافر عند الله أن تكون عنده بعض الأخلاق التى هى من أخلاق الإسلام؟ وهل يضر المسلم عند الله أن تكون عنده بعض الأخلاق التى هى من أخلاق الكفر؟

أما بالنسبة للمسلم فلا شك أن هذا يعتبر انحرافاً قد يصل به إلى الكفر، فتكون له عقوبة الكافرين، وقد لا يصل به إلى الكفر فيكون مؤاخذاً عليه عند الله، وقد يعاقبه الله فى الدنيا عليه، وقد أبقى له الله عز وجل فى الدنيا طريق الاستقامة مفتوحاً، بحيث إن شاء أن يستقيم تاب إلى الله نادماً على ما فعل، ناوياً ألا يعود، عازماً على الاستقامة، مستغفراً الله عز وجل، مؤدياً الحقوق لأهلها أن كان انحرافه له علاقة بحقوق الخلق، فإن فعل غفر الله عز وجل ذنبه، ولا يؤاخذه عليه فى الآخرة إن شاء.

أما بالنسبة للكافر فإن أعماله هذه التى تنسجم ظاهرياً مع الإسلام تنفعه فى الدنيا فقط، فيكون ثوابها فى تطبيقها ذنوباً، أما فى الآخرة فلا، على اعتبار أنها لم تنبع كأثر عن الاعتراف بالله ورسوله، وذلك هو شرط أعمال الإسلام، إذ الإسلام والإيمان تصديق واستسلام، وهذه ليس فيها طابع التصديق ولا الاستسلام ولذلك فلا قيمة لها عند الله عز وجل قال تعالى :

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ [النور : ٣٩] .

(٥)

بعد عرض هذه القضايا كلها يتضح معنا أن الطريق الذى يسلكه المسلم طريق متميز مستقل، قد يتقاطع مع غيره من الطرق، ولكنه تقاطع عرضى وليس غير ذلك، وقد نبه الله عز وجل المسلم على هذه الحقيقة فى أول سورة من سور القرآن (الفاتحة) التى يكررها المسلم فى كل صلاة.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧] .

فطريق المسلم متميز، هو طريق الأنبياء والمرسلين، ولا يرضى أن يسلك طريق غيرهم، سواء كانوا يهوداً أو نصارى، ومن باب أولى غيرهم ممن لا كتاب سماوياً لهم.

إن طريق المسلم هو طريق الله الذى دل عليه كل نبى لله، وكل رسول، ووضحه كاملا خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦١].

(سأل رجل عبد الله بن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال:

تركنا محمد فى أدناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد[١] وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً على كتفى الصراط داران - وفى رواية سوران - لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. فالأبواب التى على كتفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله تعالى حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوقه واعظ ربه)، أخرجه الترمذى.

وفسره رزين فى حديث رواه عن ابن مسعود:

إن الصراط هو الإسلام. وإن الأبواب محارم الله.

والستور حدود الله. والداعى على رأس الصراط القرآن.

والداعى فوقه واعظ الله فى قلب كل مؤمن، فهذا طريق متميز - لا يشبه طريقاً ولا يشبهه طريق - طريق مستقيم.

(٦)

وينتج عن هذا كله إن المسلم الحق، إنسان متميز تميزاً تاماً عن غيره فى كل شىء، فهو متميز منذ البداية فى عقائده وعبادته ومناهج حياته وفى هدفه النهائى وهدفه القريب.

---

(١) مفردها: جادة. أى السبيل أو الطريق.

فإذا كان هدف غير المسلم النهائى هو الحياة الدنيا، فى لهوها ولعبها، وزينتها وتفاخرها وتكاثرها، وذهبها وفضتها ولذتها، فإن هدف المسلم النهائى هو الآخرة وهو من الدنيا على حذر.

وإذا كان هدف الكافر فى الحياة الدنيا من عمله الاجتماعى أو السياسى أو الاصلاحى فى زعمه هو تحقيق تقدم مادى، أو تعميم شهوة فإن الهدف العام للمسلم فى عمله العام، إقامة دولة الله وحمايتها، وتوحيد الأمة الإسلامية ونصرة شريعتها، وإحياء سنة رسولها، والجهاد فى سبيل الله حتى تخضع الدنيا لكلمة الله.

وإذا كان هدف الكافر الشخصى، تحقيق أكبر قدر ممكن من اللذة والمتعة، فهدف المسلم الشخصى أن يكون الله راضياً عنه، محباً له، متمسكاً بكتاب الله، مقتدياً برسول الله ﷺ، مجاهداً فى سبيل الله حتى يستشهد، وهو على ذلك، وهو يحس أ ن فى ذلك سعادته، إن الكافر لو أعطى أحداً حتى أباه ما لا يحس بألم لأنه خسر، بينما المسلم سعادته فى أن يعطى، وهذا مفترق الطريق بين سعادة المسلم، وسعادة الكافر، إن سعادة المسلم بقيامه بأمر الله، وألمه فى انحرافه عن ذلك، وسعادة الكافر فى التفلت من كل قيد.. ولما كان هذا الكتاب كله يشرح تميز المسلم فى عقائده وعبادته ومناهج حياته، فسنقتصر هنا على شرح تميز المسلم فى هدفه النهائى ثم العام وما يترتب على ذلك من تميز فى السلوك.

تميز المسلم فى هدفه النهائى

إن هدف الكافر الدنيا، وليس له فى الآخرة مطلب، بل هو ناس لها، منكر إياها، غافل عنها، والحياة الدنيا هى ما وصفها القرآن:

﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران: ١٤].

﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد: ٢٠].

إن الكافر همه كله الدنيا ﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ﴾ [البقرة: ٢٠٠] فلا يفكر إلا بها وليست له همة إلا بأن يحصل

أسبابها كلها، فهو يريد النساء يتمتع كما يريد، ويزنى كما يشاء، وينظر لمن يختار، ويريد ألا تمنع امرأة نفسها عنه، وهو يريد الأولاد، ويريد الذهب، ويريد أدوات الركوب والرفاه، والفخفخة، ويريد الأراضى ويريد أن يلعب وأن يلهو. أن يكون أثاثه جميلاً، ولباسه جميلاً، ويريد أن يعلو على الآخرين، وأن يفخر ويسمو.. وليس له همة ولا أمل إلا فى شيء من هذا، أما الآخرة فليس له أدنى همة إليها، ولا رغبة فيها، بل هو كافر بها أو شاك أو تارك إياها وراء ظهره.

أما المسلم فهو كما وصف الله ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [البقرة: ٢٠١] وهو كما نصح قوم قارون ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ [القصص: ٧٧].

والمسلم يرغب أن يتمحض خالصا للآخرة تحقيقا لأمر الله وهو من الدنيا على حذر ﴿ **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ** ﴾ [الأنفال: ٦٧] ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا* وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩] ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ [النساء: ١٣٤] ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴾ [الشورى: ٢٠].

يقول عليه السلام: (ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس).

وقال عليه السلام: (الدنيا ملعونة ملون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم ومتعلم).

وقال: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء).

وقال: (مالى وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها).

وحدث أبو سعيد قال: (جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها. فقال رجل: أو يأتى الخير بالشر؟ فسكت رسول الله ﷺ فرأينا أنه ينزل عليه فأفاق يمسح عنه الرمضاء (العرق الكثير) وقال: أين هذا السائل؟ وكأنه حسده فقال: إنه لا يأتى الخير بالشر وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً (انتفاخاً) أو يلم، إلا أكله الخضرة فإنها أكلت حتى

إذا امتدت خاصرتاها فاستقبلت عين الشمس فثلطت (أى اجترت بتأن ورفق) . وبالت ثم رتعت، وإن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل وإن من يأخذه بغير حقه كمن يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة) أخرجه الشيخان . . وليس معنى حذرنا من الدنيا وكون الآخرة هى هدفنا الوحيد، أن نموت أو نتماوت فإن الرسول عليه السلام يقول :

(ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة أن تكون بما فى يد الله تعالى أوثق منك بما فى يدك، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك) أخرجه الترمذى .

ووصفت عائشة زهد عمر فقالت : (كان عمر زاهداً وكان إذا مشى أسرع وإذا تكلم أسمع وإذا ضرب فى ذات الله أوجع) .

ولكن المقصود بذلك هو أن تقف من كل جزء من أجزاء الدنيا عند ما حده الله لنا فيه . . يقول عليه السلام : (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا والنساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت النساء) أخرجه مسلم .

فالمال من الدنيا، ورجل الآخرة هو الذى يأخذه من حله، ويضعه فى محله، معطيا حق الله فيه كما أمر الله فى ذلك كله .

والنساء من الدنيا، ورجل الآخرة هو الذى يتمتع منهن بالقدر المسموح فيه .

والأولاد من الدنيا، ورجل الآخرة لا يجعل حبه لهم يطغى على تأديبه لهم، أو السير بهم فى طريق الله، أو يتجاوز بهم حقهم .

والخيل والأنعام من الدنيا، ورجل الآخرة هو الذى يعطى حق الله فيها، ويستعملها فى الطريق الذى سمح الله له أن يستعملها فيه .

وتملك الأراضى من الدنيا، ورجل الآخرة لا يتملك إلا عن طريق مشروع، ويعطى حق الله منها، ولا يتعامل مع الآخرين فيها إلا ضمن حدود الشريعة .

واللعب من الدنيا، وقد حد الله لأبناء الآخرة لعبهم الجائز لهم، وما عداه فهو باطل، ورجل الآخرة هو الذى يقف عند ما حده الله له من لعب .

واللهو من الدنيا، ورجل الآخرة يأخذ منه بالقدر المسموح ضمن الحدود التى رسمها الشارع .

والزينة من الدنيا، ورجل الآخرة هو الذى يبقى ضمن حدود الله فيها .

والتفاخر والتكاثر من الدنيا، ورجل الآخرة يبقى عند حدود الله فى ذلك كله .

وإليك الآن بيان هذا :

(١)

إن المسلم يتملك، والكافر يتملك، ولكن الفارق بينهما أن الكافر يعتبر المال عنده غاية فى حد ذاته، حتى إنه ليصبح إلهه الذى يطيعه فى كل شىء.. بمعنى أنه لا يبالى عن أى طريق وصل إلى المال، وإذا وصل إليه، فإنه لا يخرج عنه إلا كرهاً، وهذا نوع من العبودية.. يقول عليه السلام: (تعس عبد الدرهم).

أما المسلم الذى يطلب رضوان الله ويرجو اليوم الآخر. فإن المال عنده وسيلة لحفظ الكرامة عن الإبتذال ولكسب الحسنات، وتكفير السيئات، وينتج عن هذا أنه لا يمتلك مالاً إلا عن طريق حلال، وإذا تملك فإنه يؤدى فى ذلك حق الله منه، وهو سعيد النفس، وزيادة على ذلك فنفسه دائما تجود بما تملك إذا رأت ضرورة الإنفاق، وليست نفسه مستشرفة إلى المال ولا متعلقة به.

فالمال بالنسبة للمسلم وسيلة يثبت بها صحة إيمانه بتملكه الحلال، وصحة إيمانه بالإنفاق وصحة إيمانه بالجود وإبتغاء رضوان الله فى هذا كله.

(٢)

والمسلم يحب المرأة ورسول الله ﷺ كان يقول: (حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء).

ولكن هذه المحبة لا تخرجه عما حده الله، بل يحقق فيها ما يحبه الله طمعاً فى ثواب الله.

فلا ينظر إلى امرأة أجنبية بشهوة، بل يغض طرفه، ولا يقضى شهوته إلا عن طريق الزواج، وإذا تزوج فإنه يبقى عند ما حده الله تعالى، فلا يجامع زوجته أثناء حيضها، ولا نفاسها، ولا فى دبرها، ويتمتع بعد ذلك كما شاء، وهو لا يتزوج إلا من أحل الله له أن يتزوج منها، فيحقق بهذا الحكمة من العلاقة الجنسية ضمن حدود الله، وهو يبتغى فى ذلك كله وجه الله واليوم الآخر، والله يأجره على هذا كله.

والمتعة بالمرأة وتمتيعها ومتعتها وسيلة عند المسلم والمسلمة لتحقيق حكمة بقاء النوع، وزيادة المسلمين وهو يفعل هذا كله راجياً رضوان الله.

أما الكافر فالتمتع فى حد ذاته هو الغاية عن أى طريق كان، فلا يقيد نفسه بقيد، فهو يزنى وينظر إلى المرأة ويشتهى، ولا تحد شهوته قيود، ويتمتع ولا يحد تمتعه قيود، فالمرأة بالنسبة إليه إله يعبد، يأمر فيطاع ونفسه كذلك إله يعبد، تأمر فتطاع، وهمه الوحيد، وهمها الوحيد – أى الكافرة – أن يحققا أكبر قدر ممكن من المتعة واللذة دون حدود، ويعتبران نفسيهما خاسرين إذا ضيعا أى فرصة يستطيعان أن يحققا بها لذة وشهوة وهوى.

أما المسلم فإذا جمحت به نفسه إلى الحرام نهاها رغبة بما عند الله، ورهبة منه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

والمسلم يحب أولاده ولكن محبته لله أشد، ولا تصرفه محبته لأولاده عن أى واجب آخر، لا عن الإنفاق ولا عن الجهاد، ولا عن العبادة، كما لا تجعله محبته لأولاده متساهلاً فى أمر تأديبهم، أو يفضلهم على غيرهم ممن هو أحق منهم بشىء لا يستحقونه، وهو حق للآخرين، ولا تمنعه محبته لأولاده أن يجعلهم يهربون من الواجب أو يساعدهم على الهروب منه، بل على العكس يشجعهم عليه، وإن كان فيه قتلهم.

﴿ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨] ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦].

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

فالأولاد بالنسبة للمسلم وسيلة يحاول بها كسب رضا الله وجنته، فهو يريد بهم تكثير سواد المسلمين، ونصرة الإسلام وتأديبهم عليه، وجعلهم صالحين حتى يدعوا له الله فيرحم ويغفر. أما بالنسبة للكافر والكافرة، فإسعاد الولد وتدليله وترفيهه، والتمتع به، والحظوة بسببه، أهداف لا يبالى معها بحلال وحرام، وواجب وتقاعس عنه، فمهما استطاعوا أن يهربوا به، أو بسببه من الواجب فعلوا، رضاه هو الغاية، أما المسلم فرضا الله بطاعة أمره فى الولد هو الغاية.

ومع كل هذا نقول: ليس الكافر بأسعد عملياً من المسلم، فى مال، أو زوجة، أو ولد، بل الحقيقة أن المسلم فى هذا كله هو السعيد المطمئن، المرتاح الضمير والوجدان.. فمن الناحية العملية لا يسعد أباه إلا المسلم، فالولد غير المسلم متى كبر لم يعد يحس بأن لأبيه عليه فضلاً، وليس له عليه حق، وبالتالى لا يلتفت إليه برعاية أو خدمة أو إسعاد، أما ولد المسلم فعلى العكس.. همه رضا والده وإسعاده، وخدمته ورعايته، لأنه يرى أن رضا الله فى ذلك.

وكذلك المرأة المسلمة ترى رضا الله فى رعاية زوجها وطاعته بالمعروف، والقيام بشأنه، فلا تمد بصرها لغيره.. وتقصر نفسها عليه، والزوج المسلم كذلك. فأسعد زوج مع زوجته، وأسعد زوجة مع زوج مسلم ومسلمة، أما الكافرة والكافر فليس لهما من هذا كله نصيب وإن كان فلا يدوم.

(٤)

والخيل والأنعام والحرث والسيارات الفاخرة وكل ما يركب يرى الكافر اقتناءها وتملكها وصيانتها هدفاً فى حد ذاته، يفاخر به الآخرين، ويكاثرهم ويباهيهم، ويتعالى عليهم، ويرى له ميزة على الآخرين بذلك، ويستكثر من ذلك، وليس له هدف إلا هذه المعانى، ولا يقيد نفسه بقيد فى الحيازة أو التصرف، هدفه فى ذلك التمتع فى هذه الحياة الدنيا بهذه الوسائل، وهى من أنواع المتعة.

وأما المسلم فهو لا يرى مانعاً من حيازة هذه الأشياء، ولكن ليستخدمها دون أن يباهى بها، أو يتعالى، وهى وسيلة لقضاء هذه الحياة - أما الآخرة فهى الهدف، ولذلك فهو لا تهمه الحيازة بقدر ما يهمه القيام بأمر الله فيها، شاكراً الله لما أنعم، متواضعاً لخلق الله فيما أعطى، باذلاً لعباد الله حقهم فيه.

(٥)

نلاحظ أن ما مر معنا حتى الآن هو من الدنيا، ولكنه لابد منه.. فبدون مال لا تستقيم الأمور، وبدون حرث لا تستقيم الأمور، وبدون نساء لا تستقيم الأمور، فهذه الأشياء لابد منها، ولذلك لم يحرم الإسلام علينا أصولها أو وجودها، وإنما الذى حرم علينا هو ما ينسينا الآخرة، أو يسقطنا فى الامتحان الدنيوى فيما ابتلانا الله عز وجل فيه، وما دمنا ضمن ما حده الله لنا، ملتزمين صراطه، فلا حرج، ولكن اللعب واللهو والزينة وضعها مختلف. فلا يتوقف عليها قيام الحياة الدنيا واستمرارها كالأمور السابقة.

لذلك نرى أنه قد ضيق على المسلم فيها أكثر مما ضيق عليه فى الأمور الأولى وإن كانت كلها من الدنيا، لأن هذه الأمور الأولى وإن كانت كلها من الدنيا، لأن هذه الأمور أكثر تأثيراً على ايجاد الغفلة عند الإنسان عن العالم الآخر، وأكثر تحريضاً له على جعل الدنيا هدفه النهائى، وأكثر صرفا له عن السلوك الصحيح فى الحياة، وأكثر تعطيلا للوقت فى غير طائل، ولنر كيف حدد للمسلم طريقه فى هذه القضايا:

١ - اللعب واللهو:

لقد أكثر الله عز وجل من وصف الحياة الدنيا بأنها لعب ولهو ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ [الأنعام: ٣٢] ﴿ **إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**.. ﴾ [محمد: ٣٦]

ولما كانت الدنيا مذمومة وكان أبرز رمز لها هو ما كان له صلة فى اللهو واللعب، فقد حظر الله على المسلم اللهو واللعب إلا ضمن حدود ضيقة: فمثلاً:

حرم الله علينا اللعب بالنرد وما يشبهه من ورق اللعب.. يقول عليه السلام: (من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه) مسلم.. ويرى فقهاء

الحنفية أن الشطرنج وأشباهه كذلك . . أما فقهاء الشافعية فلم يستحبوا للمسلم لعب الشطرنج ولكنهم لم يحرموه إذا لم يشتغل فيه المسلم كثيراً، أو يعطله عن واجب، أو يشغله عن ذكر الله، لأن فيه مراناً للذهن، وعلى كل حال فهم لا يستحبوه لأنه من اللعب وفى الحديث: (لست من دد ولا الدد منى) والدد هو اللعب.

لأن هذه الأنواع من اللعب لا تفيد شيئاً، وإنما هى كلها ضرر لما تسلبه من وقت وجهد فكرى وعصبى، ولما تثيره من تنافس مذموم، وتفاخر بأشياء تافهة، ولما تؤدى إليه من قمار.

أما اللعب الذى يترتب عليه مصلحة، فذلك جائز ولكن المصلحة لا يستقل بتقديرها الإنسان، وإنما الذى يبينها هو الله ورسوله، أو ما يستنبطه أهل الاستنباط من علماء المسلمين مما نص عليه الله ورسوله.

قال عليه السلام: (فارموا واركبوا وأحب إلى أن ترموا من أن تركبوا كل لهو باطل . . ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله، فإنهن من الحق، ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه، فإنما هى نعمة تركها - أو قال كفرها) . . رواه أصحاب السنن.

وقال: (لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل) رواه أصحاب السنن.

وقال: (من أدخل فرساً بين فرسين وهو لا يؤمن أن يسبق فليس بقمار ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار) رواه أبو داوود.

وروى مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: (فبينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا فجعل يقول ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك فلما سمعت كلامه قلت له: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا إلا أن يكون رسول الله ﷺ: قلت: يا رسول الله. بأبى وأمى أنت ذرنى فلأسبق الرجل قال: إن شئت، قلت: أذهب إليك وثنيت رجلى فطفرت فعدوت فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقى نفسى، ثم عدوت فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إنى دفعت حتى ألحقه فأمسكه بين كتفيه قلت: قد سبقت والله قال: أنا أظن . . فسبقته إلى المدينه . .) أو كما قال:

وللشيخين والنسائى عن ابن جبير: مر ابن عمر بفتيان من قريش نصبوا طيراً - أو دجاجة - يترامونها وقد جعلوا لصاحبها كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا . . إن النبى ﷺ لعن من اتخذ الروح غرضاً - أى هدفا - يرمى) ومنه نعلم أن اللعب المباح يشترط فيه ألا يخالط حرام كما نعلم حرمة مصارعة الثيران وأشباهها.

وللشيخين والنسائى عن عائشة (. . وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فى المسجد) . . وللشيخين وأبى داوود عن عائشة : (كنت ألعب بالبنات – أى لعب الصبيان – عند رسول الله وكن يأتين صواحبى فكن ينقمعن منه ﷺ فكان يسربهن إلى فيلعبن معى) .

وفى رواية أن النبى ﷺ قدم من غزوة تبوك أو خيبر، وفى سهوتها ستر، فهبت الريح، فانكشف ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال : ما هذا يا عائشة؟ قلت : بناتى ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال : وما هذا الذى أرى وسطهن؟ قلت : فرس . قال : ما هذا الذى عليه؟ قلت : جناحان قال : فرس له جناحان؟ قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ فضحك حتى رأيت نواجزه) .

و مما وصف به الصحابة : (كان أصحاب رسول الله يتبادحون بالطبيخ حتى إذا كان الجد كانوا هم الرجال) .

* * *

أما اللهو بالغناء والموسيقى فقد رخص بالغناء ما لم يرخص بالموسيقى، ولم يرخص فى المعازف إلا فى طبل الحرب وشاهين الرعاة عند بعض الفقهاء، والدف فى الأفراح، أما الغناء المجرد عن الموسيقى فقد رخص فيه أكثر، إلا مع الدف، فقد رخص فيه فى الأفراح، ولا شك أن الأمة الإسلامية التى ينبغى أن تكون نفسيات أتباعها معبأة دائماً، لا يليق أن يصبح الغناء والموسيقى عندها شغلاً شاغلاً، فما نراه الآن من الإغراق فى الغناء والموسيقى لا يليق بأمة مجاهدة، وإنما هو أليق بالمترفين الكافرين، ومن النصوص فى هذا : روى أحمد باسناد صحيح عن السائب بن يزيد : أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقال : يا عائشة تعرفين هذه؟ قالت : لا . قال : هذه قينة بنى فلان تحبين أن تغنيك؟ قالت : نعم فأعطاها طبقاً فغنتها فقال : نفخ الشيطان فى منخريها) .

وروى البخارى وأبو داوود والترمذى عن الربيع بنت معوذ : (جاء النبى ﷺ حيث بنى على فدخل بيتى وجلس على فراشى فجعل جويريات لنا يضربن بالدف وينددبن من قتل من آبائهن يوم بدر، إذ قالت إحداهن : فينا نبى يعلم ما فى غد، قال لها ﷺ : دعى هذه وقولى بالتى كنت تقولين) .

وروى الشيخان والنسائى عن عائشة (دخل رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ ؟ . . فأقبل عليه ﷺ فقال : دعهما . فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق . .) .

وروى النسائى عن عامر بن سعد رضى الله عنه قال : (دخلت على قرظة بن كعب

وأبى مسعود الأنصارى فى عرس فإذا جوارى يغنين فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ من أهل بدر يفعل هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت اذهب فقد رخص لنا فى اللهو عند العرس).

وأخرج الترمذى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف).

وأخرج البخارى عنها قالت: (زففنا امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبى ﷺ: يا عائشة أما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو).

وعن محمد بن حاطب الجمحى قال: قال رسول الله ﷺ (فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت) أخرجه الترمذى والنسائى وزاد: فى النكاح وقصة حداء الصحابة أثناء العمل أو السير أو القتال مشهورة والروايات فيها كثيرة وكلمة الرسول ﷺ لأنجشة وهو يحدو مشهورة: (رفقاً بالقوارير) أى بالنساء.

وقد روى البخارى تعليقاً عن رسول الله ﷺ:

(ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف).. فدل هذا الحديث على أن المعازف محرمة أما الغناء المجرد ضمن حدود ضيقة، وفى أوقات محددة، وفى مناسبات معدودة ففيه سعة.

* * *

٢ - **وأما الزينة**: كجزء من الدنيا فقد أبيح منها ما لا يجعل المسلم عبداً لها، أو يتجاوز به رجولة الرجل، أو أنوثة الأنثى، أو يكون به شبه بالكافرين فى زينتهم المختصة بهم.. فتميزت زينة المسلم فى بيته ونفسه عن الكافر وحدود هذا كله:

(أ) لا يجوز للرجل أن يلبس الحرير والذهب، أو يتختم بالذهب إلا الفضة بمقدار بسيط، ويجوز للمرأة الذهب والحرير لأنها تحتاج للزينة وهى أليق بجمالها، ولا يجوز التشبه بأزياء الكافرين، ولا إطالة اللباس للخيلاء.

روى أبو داوود والنسائى عن على: (رأيت النبى ﷺ أخذ حريراً فجعله فى يمينه وذهبا فجعله فى شماله ثم قال: (إن هذين حرام على ذكور أمتى).

وللستة إلا مالكاً عن عمر من رسالة أرسل بها إلى جيش مسلم: (وإياك والتنعم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير إلا هكذا - ورفع لنا ﷺ إصبعيه السبابة والوسطى وضمهما).

وللشيخين وأبى داوود والنسائى عن ابن عمر (أن النبى ﷺ قال: من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقال أبو بكر: يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده فقال: إنك لست ممن يفعله خيلاء).

وروى أبو داوود عن عائشة وقد قيل لها: هل تلبس المرأة النعل؟ فقالت: (قد لعن رسول الله ﷺ الرجلة من النساء).

وروى أبو داوود عن أبى هريرة: (لعن النبى ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل).

وروى مسلم وأبو داوود والنسائى عن ابن عمرو بن العاص: (رأى النبى ﷺ على ثوبين معصفرين فقال: أمك أمرتك بهذا. قلت: أغسلها يا رسول الله؟ قال: بل احرقهما - وفى رواية: هذه ثياب الكفار فلا تلبسهما).

وروى الستة إلا مالكاً: (خرج ﷺ وقد اتخذ حلقة من فضة (أى خاتما) فقال من أراد أن يصوغ عليه فليفعل ولا تنقشوا على نقشه).

فإذا لوحظ ما مر فلا على الإنسان أن يلبس أجود الثياب. روى النسائى عن أبى الأحوص عن أبيه (أتيت النبى ﷺ وعلى ثوب دون فقال لى: ألك مال؟ قلت نعم. قال: من أى المال؟ قلت من كل المال قد أعطانى الله تعالى من الإبل والبقر والغنم والرقيق قال: فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته).

وللطبرانى فى الكبير عن ابن سيرين (أن تميماً الدارى اشترى رداء بألف وكان يصلى فيه).

وفى حديث لأبى داوود: يقول فيه عليه السلام: (إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى أعين الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش). ونقل سعيد بن المسيب عن رسول الله ﷺ: (إن الله طيب يحب الطيب نظيف يجب النظافة، كريم يحب الكرم جواد يجب الجود فنظفوا - أراه قال - أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود).

إلا أن المرأة لا تستعمل الطيب حال خروجها من بيتها: فلأصحاب السنن عن أبى موسى عن رسول الله ﷺ: (كل عين زانية وإن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا - يعنى زانية).

(ب) إن هناك حدوداً فى اللباس لا يجوز أن يتجاوزها الإنسان وهى ما يسمى عورة من الرجال والمرأة فلا يصح أن يلبس الإنسان لباساً يصفها أو يشف لها وعورة الرجل ما بين سرته إلى ركبتيه وبعضهم يرى أن الركبة كذلك من العورة والمرأة كلها عورة مع غير محارمها على التأبيد. قال عليه الصلاة والسلام (الفخذ عورة).

وروى البخارى وأبو داوود عن عائشة: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] شققن أكثف مروطهن فاختمرن بها) قال ابن حجر العسقلانى: فاختمرن به أى غطين وجوههن.

وروى أبو داوود عن أم سلمة لما نزلت ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرجن نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية.

ولمسلم والترمذى عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد ولا المرأة إلى المرأة فى ثوب واحد).

وروى أبو داوود والنسائى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: (قلت يا رسول الله.. عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قلت: يا رسول الله فالرجل مع الرجل قال: إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل. قلت: فالرجل يكون خالياً قال: الله أحق أن يستحى منه الناس).

(جـ) ومن الزينة التى لا تجوز ما ورد ذكره فى الآثار التالية:

(روى الستة عن عائشة رضى الله عنها: أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها النبى ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت فى وجهه الكراهية فقلت يا رسول الله أتوب إلى الله ورسوله ماذا أذنبت؟ فقال: ما بال هذه النمرقة؟ قلت اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة فيقال لهم أحيوا ما خلقتم وقال إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة).

(وفى رواية: حشوت للنبى ﷺ وسادة فيها تماثيل كأنها نمرقة فجاء فقام بين البابين وجعل يتغير وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال ما بال هذه الوسادة؟ قلت وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها قال أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة).

(زاد فى رواية: فأخذته فجعلته مرفقتين فكان يرتفق بهما فى البيت).

(وفى أخرى: قدم النبى ﷺ من سفر وقد سترت على بابى درنوكا فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرنى فنزعته).

(وفى أخرى: أنها سترت على بابها بنمط فلما قدم رأى النمط فعرفت الكراهية فى وجهه فجذبه حتى هتكه وقطعه وقال إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين قالت فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفاً فلم يعب ذلك على).

(وفى أخرى قال: أنزعيه فإنه يذكرنى الدنيا).

(روى الشيخان والنسائى عن عائشة: لما اشتكى النبى ﷺ ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار خلق الله).

(روى البخارى وأبو داوود عن ابن عمر قال : إن النبى ﷺ أتى بيت فاطمة فوجد على بابها سترا موشياً فلم يدخل فجاء على فرآها مهتمة فأخبرته فأتاه على فذكر له ذلك وقال قد اشتد عليها فقال ﷺ ما لنا وللدنيا وما أنا والرقم فذهب إلى فاطمة فأخبرها فردته إليه تقول فما تأمرنا به فيه؟ قال ترسلين به إلى أهل حاجة) .

كما أننا نهينا أن نأكل أو نشرب فى آنية الفضة والذهب :

لمالك والشيخين عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ : إن الذى يأكل ويشرب فى إناء الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم) .

وللستة إلا مالكاً عن حذيفة (إنى سمعت النبى ﷺ يقول : لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها فإنها لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة) .

والدنيا بعد ذلك بالنسبة للمؤمن سجن. يقول عليه الصلاة والسلام كما يروى مسلم والترمذى :

(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) ولا يستعبد المسلم من الدنيا شىء (تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة . . .) . .

ولعل من جملة الحكم التى قيد الله من أجلها المسلم عن الاسترسال فى شئون الدنيا، أن يبقى المسلم متذكراً الآخرة، ذاكرا أنه الآن فى مرحلة الامتحان، وليبقى متميزاً عن أبناء الدنيا المستعبدين لها، الذين جعلوها أكبر همهم، وحتى يستفيد من الوقت استفادة كاملة فما معنى أن يضيع الإنسان ساعات عمره بلا طائل .

رأينا فيما مضى أن المسلم متميز عن الكافر فى هدفه النهائى، فالهدف النهائى للكافر الدنيا، بينما الهدف النهائى للمؤمن هو الآخرة، ورأينا كيف يترتب على هذا اختلافات فى السلوك، ونحب هنا أن نشير مرة ثانية إلى أن بعض الكافرين يتوهمون أنهم يعملون للآخرة ويستهدفونها، وقلنا إن هذا فى الحقيقة ناتج عن بقايا إيمان قديم ورث مع كفر لاحق، ولكن هذا عملياً يزول على مر الزمان، كما نشاهد عملياً حال كثير من الأحبار والرهبان الذين لا هم لهم إلا الدنيا .

ونحب هنا أن نذكر أنه نتيجة لما مر فإن كثيراً من المؤسسات التى هى من مستلزمات حياة الكافرين لا تصلح أن تنمو فى مجتمع إسلامى، وأن كثيراً من المؤسسات التى لا محل لها فى المجتمع الكافر تنمو نمواً عظيماً فى المجتمع الإسلامى السليم، فلا محل فى مجتمع إسلامى لمؤسسات القمار، ولا لنواديه، ولا محل فى مجتمع إسلامى لمؤسسات اللهو والرقص والموسيقى والنحت . . ودور الأزياء الفاخرة والمجلات الخليعة . . إلى آخر هذه السلسلة التى لا تصلح لأهل الآخرة .

(٦)

وكما تميز المسلم عن الآخرين فى هدفه النهائى، فإنه يتميز فى أهدافه العامة والعليا التى يطمح أن يحققها بنفسه، أو بالتعاون مع الآخرين من المسلمين، إذ غير المسلم قد لا يكون له هدف يسعى لتحقيقه إلا التمتع بدنياه، وإذا كان له هدف يشارك الآخرين فى السعى له فهو هدف له علاقة فى تحقيق جزء من أجزاء الحياة الدنيا من استعلاء أو تماجد أو رفاه..

أما بالنسبة للمسلم فالأمر مختلف، فأولا لا يصح أن يعيش المسلم بلا هدف فى الدنيا، فالمسلم رجل له هدف، وهذا الهدف لا يصح أن يكون دنيوياً، وإن كانت الدنيا قد تأتى تبعا له، ولو أننا أردنا إجراء عملية استقصاء للأهداف العامة للمسلم، فإننا نجدها لا تخرج عن خمسة:

١ – إقامة دولة الله: نصرتها أو حمايتها أو إصلاحها أو إيجادها إن لم تكن.

٢ – نصرة شريعة الله.

٣ – إحياء سنة رسول الله ﷺ.

٤ – توحيد أمة الله عندما لا تكون موحدة.

٥ – الجهاد فى سبيل الله حتى يخضع العالم لسلطان الله.

فالمسلم لا يستطيع أن يعيش فى دولة ليست كلمة الله فيها هى العليا، وعلى هذا الأساس لا يرغب أن يعيش فى ظل حكومة كافرة، لذلك كان من الفروض على المسلمين أن تكون لهم دولة تقام فيها أحكام الله عز وجل، ولهم أمير ينفذ فيهم هذه الأحكام، وينتج عن هذا أن يكون المسلم إما مستهدفاً وجود دولة الله إن لم تكن موجودة، أو نصرتها وحمايتها إن كانت موجودة، وإصلاحها إذا رأى فيها خللاً، وهو آثم إن لم يشارك فى أى من هؤلاء حتى يتم فى حالة الاحتياج إليه.

والمسلم إنما يفعل هذا حتى يتمتع بأحكام الله، ويعيش فى ظل شريعة الله، فالدولة الإسلامية مرتبطة بالشريعة الإسلامية، وإلا كانت المسألة دعوى. فعلى هذا الأساس يبقى المسلم حساسا فى حالة انحراف المجتمع، أو الدولة عن شريعة الله، وينصر هذه الشريعة بالوسائل المحددة لذلك عندما يرى هذا الخروج.

والمسلم لا يرى أن هذا فى حالة كمال إلا إذا أحييت سنة رسول الله ﷺ إحياء كاملا بتطبيقها عمليا على كل مستوى من المستويات.

وقد يحدث أن الأمة الإسلامية تتمزق وحدتها نتيجة لعوامل خارجية أو داخلية، فهو لا يكتفى بإقامة دولة إسلامية فى مكان متناسيا بقية أبناء أمته، بل يرى من واجبه

مع بقية المسلمين أن يكون عمل مشترك دائم، حتى تتم للأمة الإسلامية وحدتها تحت ظل خليفة واحد، وفى وطن واحد، وهو لا يستطيع أن يتخلى عن هذا الهدف بتاتاً، وهو يعلم أن على بن أبى طالب قاتل معاوية وقتل آلاف من المسلمين من أجل هذا الهدف. كما أن المسلم يعتبر نفسه مأموراً أن يبقى فى عملية جهاد حتى لا يبقى شبر فى الأرض إلا وقد خضع لسلطان الله بخضوعه للمسلمين الممثلين الوحيدين لنظام الله فى الأرض، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٩٣] وعمليا تبقى الفتنة موجودة بشكل أو آخر إلا إذا خضع العالم كله لسلطان المسلمين، وعلى هذا فإن المسلم يعتبر هدفاً رئيسياً عنده أن يعمل لتحقيق هذا.

وهذه الأهداف التى ذكرناها كلها من الفروض على المسلمين بشكل عام وعليهم أن يحققوها وأن يسعوا لها كأهداف عليا لهم فى الحياة.

(٧)

والمسلم لابد أن يحقق فى ذاته كى يستطيع المشاركة فى هذه الأهداف العليا خمس صفات أساسية هى:

١ – أن يكون الله غايته فى هذا كله.

٢ – أن يكون الرسول ﷺ قدوته.

٣ – أن يكون القرآن والسنة إمامه.

٤ – أن يبقى دائما فى عملية جهادية، وعلى استعداد دائم لذلك من الناحية النفسية والجسمية والتدريبية.

٥ – أن يكون الموت من أجل هذا أحلى أمنياته، وأحب إليه من الحياة.

فإذا لم يكن المسلم كذلك، فلن يستطيع تحقيق الأهداف السابقة الذكر، وعملياً فالصحابة رضوان الله عليهم وهم النماذج العليا للمسلمين كانوا متحققين بهذه الصفات كلها:

فكانوا يبتغون فى كل عمل وجه الله وحده ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ [الكهف: ٢٨].

وكانوا مستمسكين بسنة رسول الله ﷺ كلها حتى فى أدق الحالات وأبسطها والله قال لهم ولنا ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكانوا معتصمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ لا يحيدون عنهما، ولا يبتغون الهدى فى سواهما، ولا يحكمون معهما رأياً ولا غيره.

وكانوا فى جهاد دائم لا ينقطع، وهو عملهم الأساسى وقد هدد الرسول ﷺ بالذلة لمن تركه (إذا تبايعتم بالعينة وتبعتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم) والله عز وجل جعل عنوان الفسوق أن يكون شيء من متاع الدنيا أحب إلى المسلم من الجهاد فقال: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

ونقصد بالجهاد أنواعه كلها كما فصلناها فى كتابنا «**جند الله ثقافة وأخلاقا**».

وكانوا - أى الصحابة - يحبون الموت فى سبيل الله ويفضلونه على الحياة ويحزنون إذا لم يستشهدوا، وكلمة خالد فى ذلك مشهورة: جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة - وفى رواية - الخمر.

وعلى هذا فالشيء العادى للمسلم أن تكون صفاته هذه، لأنها لابد منها لتحقيق الأهداف الآنفة الذكر، وقد عبر بعضهم عن هذا كله بقوله على لسان المسلمين:

(الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا).

وبهذا يتميز المسلم عن أى إنسان آخر، فلا يوجد إنسان فى العالم تشبه أهدافه هذه الأهداف، ويسعى للتحقق بمثل هذه الصفات، وأى عملية صرف للمسلم عن هذه الأهداف العليا أو عن الهدف المرحلى إليها، إنما هو انحراف ومسخ ونسف للعقلية المسلمة، والنفسية المسلمة، وتبنى المسلم لأى هدف أو شعار لا يكون جزءاً من هذا الذى ذكرناه، مع وضوح هذا الجزء فى الهدف الكبير وضرورته له، إنما هى مؤامرة لصرف المسلم عن إسلامه.

وبما قدمناه وضح تميز الإنسان المسلم عن غيره من البشر فى هدفه النهائى، وهدفه العام والخاص.

(٨)

وكما تميز المسلم فى أهدافه الخاصة والعامة، والبعيدة والقريبة، وصفاته، فإنه يتميز فى كل شيء، لأن قدوته واحدة، ومصدر تلقيه الهداية واحد، فهو متميز نتيجة لذلك فى كل شيء يمكن أن يكون فيه حق وباطل، هدى وضلال، وضوح وعمه، استقامة وعوج، فهو متميز فى كلامه، ومتميز فى عواطفه وانفعالاته وصفاته النفسية، ومتميز فى آدابه، ومتميز فى طعامه وشرابه ونومه من حيث عاداته فيها، ومتميز فى القيام بواجباته ودقته فيها، ومحاسبته نفسه على التقصير بأدنى الأمور، وبالجملة فإن

تميز المسلم هو الأصل، وعدم تميزه هو العارض، ونكتفى هنا أن نضرب مثلين على تميز المسلم فى أموره عامة على اعتبار أن هذا الكتاب كله يبين هذا التميز كما ذكرنا.

الأول: تميزه فى كلامه.

الثانى: تميزه فى طعامه وشرابه.

أولا - تميزه فى كلامه:

غير المسلم لا يقيد كلامه قيد، فتراه ثرثاراً لاغياً كثير الكلام فى كل شىء، يعلم أو بغير علم، بتحقيق أو بغير تحقيق، بما يعنيه وما لا يعنيه بالخير أو بالشر، يساير أهل الباطل فى باطلهم، ويمارى أهل الحق فى حقهم، ويجادل بعلم وبغير علم، ولا يقصد فى جداله إظهار الحق، كقصده غلبة المناقش، ويحقر الآخرين إذا تكلم، ويقسو فى تعبيره أحياناً، ويشتط أحياناً، ويتكلف الفصاحة، ويكثر من التشدق والتقعر، ولا يبالى إذا خرج من لسانه الفحش والسب والكلام البذىء، ويكثر المزاح بغير الحق، فيكذب مازحاً، بل يكذب فى كل حين بلا مبالاة ويسخر ويستهزىء ويفشى سرا، ويعد ولا يبالى بالوفاء، ويحلف ولا يبالى بالبر أو الحنث أو الكذب، ويعطى عهدا فينقضه، ويغتاب الناس ولو كانوا أقرب المقربين إليه، وينقل حديث الشر بين الناس بعضهم لبعض فيوقع الفتن، وإذا مدح أفرط فى المدح، وإذا ذم أفرط فى الذم، ويتكلم ولا يبالى أخطأ أو أصاب، نتج عن كلامه خير أو شر، فائدة أو ضر، وبالتالى فإنه لا يقيده قيد، وقد لا نجد كافراً اتصف بهذا كله، ولكن لا تجد كافرا عنده مانع من أن يكون كذلك إذا لم يحاسب على كلامه.

أما المسلم فعلى النقيض من هذا كله.

فهو من اللحظة الأولى ملتزم ألا يتكلم إلا بخير قال الله تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء: ١١٤] وقال رسول الله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) وألا يتكلم إلا فيما يعنيه. قال ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وأن يحاسب نفسه قبل أن يتكلم فلا تخرج كلمة من فيه إلا بميزان خوفاً من وعيد قوله عليه السلام: (إن الرجل ليتكلم الكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى نار جهنم سبعين خريفاً) وإذا رأى الناس يخوضون فى الباطل اعتزلهم طاعة لأمر الله قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ٦٨] وقال: ﴿ **وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴾ [الفرقان: ٧٢] ولا يحب الجدال والمراء وإنما

يبين الحقيقة فمن ما راه فيها أقام عليه الحجة وانتهى. قال ﷺ: (لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه) وقال: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) ولا يحب خصومة الآخرين ومماحكتهم واللدد فى مثل هذا قال ﷺ: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) ولا يحب التكلف فى الكلام كما أنه ليس أقل فصاحة من غيره قال ﷺ: (إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم منى مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون) ولا يحب اللعن والسب والفحش والبذاءة. وقال عليه السلام: (ليس المؤمن باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا البذىء) يتحرج عن اللعن إلا ما أباح له الله ويمازح ويداعب ولكن بحق فلا يخرجه مزاحه ومداعبته إلى باطل أو اختلاق كذب وقد ذكر الرسول ﷺ الرجل يتكلم الكلمة ليضحك بها الناس فقال: (ويل له ويل له).

والمسلم يبتعد وينأى بنفسه عن الاستهزاء بالآخرين أو السخرية بهم أو غيبتهم قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ**﴾ [الحجرات: ١١] ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: ١٢] وإذا ائتمنه إنسان على سر فإنه لا يفشيه وفى الحديث (إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة) وإفشاؤه خيانة، إلا (المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس، سفك دم حرام أو فرج حرام واقتطاع مال بغير حق).

والمسلم ملتزم إذا وعد بالوفاء فلا يعد إلا وهو ناو أن يفى قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة: ١] ﴿**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾ [مريم: ٥٤].

ومن علامات المنافق (إذا وعد أخلف).

والمسلم ملتزم إذا تحدث أن يكون صادقاً، وإذا عاهد أن يكون صادقاً، وإذا حلف أن يكون صادقاً فهو الوحيد الذى يبقى للكلمة شرفها، وثقة الخلق بها. قال ﷺ: (وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) وليس من الكذب المحرم ما رخص فيه رسول الله ﷺ وهو (تقول أم كلثوم: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الاصلاح، والرجل يقول القول فى الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها) وحتى فى هذه الثلاثة يختار المسلم من الكلام ما يكون فى أحد أوجه معانيه صدق.

والمسلم ملتزم ألا يغتاب فهو لا يذكر الناس بما يكرهونه حتى ولو كانوا كافرين إلا إذا ترتب على عدم الذكر مضرة أو كان فى الذكر ضرورة.

والمسلم ملتزم ألا ينقل بين الناس الكلام الذى يؤدى إلى إيجاد الخصومات أو زيادتها أو استمرارها قال ﷺ : (لا يدخل الجنة قتات) أى نمام بل يكون دائما ناقلا بين الناس ما يصلح بينهم.

و المسلم ملتزم ألا ينافق، فتراه صريحا واضحا، بينا أمره، غير مذبذب قال ﷺ : (من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة) وقال: (تجد من شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذى يلقى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث) وقال: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وهو إذا اضطر للعداوة لم تخرجه مداراته إلى باطل وكذب.

والمسلم لا يحب أن يمدح الآخرين فى وجوههم لما فى ذلك من مظنة الرياء، وغرس العجب فى قلب الممدوح وفى الحديث (إن كان أحدكم لابد مادحاً أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحداً حسيبه الله إن كان يرى إنه كذلك).

والمسلم ملتزم إذا تكلم أن يكون كلامه صحيحاً علمياً، خالياً من الخطأ، يتثبت قبل أن يقول: (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) وهو لا يتكلم إلا بما فيه مصلحة السامعين، فلا يثير موضوعا يترتب على إثارته ضرر، أو تهاون فى العقيدة أو السلوك (ما أنت محدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)، وبالتالى فإن المسلم الحق له من سلطانه على لسانه بإذن الله ما يجعله محل الثقة التى لا يشك فيها، والخير الذى لا يخالطه شر، والمعروف الذى لا يخالطه منكر.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ [المجادلة: ٩] وبهذا وضح تميز المسلم فى كلامه.

ثانيا - تميزه فى طعامه وشرابه:

غير المسلم لا يقيد نفسه بقيد في موضوع الطعام والشراب، فهو يأكل كل شيء من لحم الخنزير أو الميتة أو ما لم يذبح ذبحاً شرعياً. وقد يأكل النجاسات كالدم، ويشرب الخمر، ويأكل على أى طريقة وهكذا.. أما المسلم فهو من البداية يعتقد أن الله خلق الكون وما فيه لصالح الإنسان، فمن حقه أن يقيد الإنسان، وأن يمنعه عن بعض الأمور امتحاناً لهذا الإنسان، أيطيع الله وقد أعطاه ما أعطاه، فعلى هذا نجد المسلم لا يأكل ولا يشرب ما حرم عليه، فلا يأكل لحم خنزير، ولا يشرب الخمر، ولا يأكل لحوم الحيوانات المحرمة التى تصيد بنابها أو مخلبها، كالأسد والنسر، والحيوانات التى يجوز أكلها إلا إذا ذبحت على الطريقة الشرعية حيث يذكر اسم الله عليها أثناء ذبحها كرمز على أن الذى أباح إزهاق روحها هو خالقها وبإذنه نفعل

ذلك، وحيث تقطع الأوداج والحلقوم والمرىء من مكان معين عند الرقبة فى غير حالة الصيد ليذهب الدم الحرام النجس وهكذا.

ولا شك فى الحكمة فيما حرمه الله علينا لأن من أسمائه الحكيم، فالخمر ضار، ولحم الخنزير فيه ضرر، ولحوم الحيوانات المحرمة فيها ضرر، وقد يكون هذا الضرر، أخلاقياً إن لم يكن جسمياً، إذ للتغذية أثرها في تكوين نفس الإنسان، فمن لا يأكل اللحم بتاتا تختلف نفسيته عن من يأكله دائماً، ونوع معين من اللحم قد يؤثر تأثيراً ما فى تكوين النفسية البشرية، ولعل إباحية الغرب وتهتكه وعدم مبالاته بالعرض مرتبطة ارتباطا جزئيا بموضوع لحم الخنزير، وعلى كل حال فالمسلم يلتزم هذا الالتزام سواء وجد ضرر، أو لم يوجد، لمجرد أن الله أمر، وأن أمره واجب التنفيذ، إذ هو المالك الحقيقى للكون، ومن حقه أن يمنع الإنسان عما يحب، فالمسألة من أساسها اعتراف بسلطة الله فى التشريع، فالكافر لا يرى أن لأحد سلطاناً عليه. فإذا امتنع لسبب وباختياره، وإذا لم يمتنع فلسبب وباختياره، أما المسلم فهو معترف بسلطان الله عليه. ومؤمن بأن محمداً ﷺ مبلغ صادق عن الله فهو ملتزم التزاماً أميناً بهذا.

ثم أن المسلم إذا أكل أو شرب فإنه يبدأ باسم الله، ويختتم بالحمد لله، كرمز على أنه يأكل باباحة الله له، ولا يأكل إلا بيمينه كرمز على تميزه، وتفضيل اليمين على الشمال، وله فى هذا الموضوع آداب أخرى كلها أثر عن العقيدة وتنسجم معها، ويظهر فيها تميز المسلم عن غيره من الكافرين والمنافقين.

ولعلنا فى هذين المثلين اللذين ضربناهما عن تميز المسلم فى جانبين من سلوكه أدركنا عمق تميز المسلم، وبنفس الوقت جلال هذا التميز وجماله وسلامته، والحقيقة أن دارس الشخصية الإسلامية كما أرادها الله ورسوله يرى بشكل واضح كيف أنها متميزة فى كل طيب وجميل.

(٩)

وشىء عادى بعد كل ما قدمناه أن يكون المجتمع الإسلامى متميزاً عن كل مجتمع آخر، وما يسود فيه يختلف عما يسود فى المجتمعات الأخرى. وقد أشرنا سابقاً إلى أن كثيرا من المؤسسات التى تنمو فى مجتمع كافر لا يكاد يكون لها وجود فى مجتمع مسلم، وإن كثيرين ممن يرفعهم المجتمع الكافر إلى القمة كالمومسات والراقصات والموسيقيين والمغنيين.. يكونون فى مجتمع إسلامى محتقرين، وإن كثيراً مما يستمسك به المسلمون بكل قواهم، يتخلى عنه المجتمع الكافر بكل قواه، وكل شىء مطلق مائع تجده محددا منضبطاً فى مجتمع إسلامى.

وسندرس أربع قضايا لنرى تميز موقف المجتمع المسلم فيها عن موقف المجتمع الكافر، ونختارها مما يغلب وجوده في عصرنا:

١ – الفن والجمال.

٢ – القومية والوطنية والعنصرية والإنسانية.

٣ – الحرية.

٤ – الإخاء والمساواة.

١ – الفن والجمال:

في المجتمع الكافر الجمال قبل الأخلاق، بل الجمال هو الأخلاق، والفن هو الأخلاق. وإذا تعارض مع الخلق، فليترك الخلق له، فمثلاً:

كلما أظهرت المرأة جمالها للخلق كلما كان هذا أحسن، وكلما استطاعت أن تبرز جمالها أكثر كلما كان هذا أحسن، وكلما قدرت على إيجاد وسائل تزيد إغراءها وجاذبيتها وفتنتها وتظهرها للآخرين كلما كان هذا أعظم عندهم، بصرف النظر عما يترتب على ذلك من تهييج شهوات، وشغل تفكير، واستباحة أعراض، وزيادة الحرص على الزنا، ونسيان الواجبات هذا كله لا قيمة له في سبيل الجمال والمتعة.

وفي المجتمع الكافر النحت جزء جيد من أجزاء الحضارة، لأنه تعبير عن رفعة الذوق ودقته، وتخليد لجمال أو لذكرى استقرت في قلب نحات رسام، فمهما أراد إنسان أن يعبر بواسطة النحت أو الرسم عن شيء فعل ووجد تجاوباً كبيراً من الناس هناك. حتى إن صورة من الصور يمكن أن تباع بملايين، فهذا كله شيء عظيم، بصرف النظر عما يوحيه ذلك من تقديس لجماد، أو تعظيم لحجر، وبصرف النظر عن وقت يذهب سدى، وقت الرسامين والنحاتين، ووقت البشر الذي يقضي في مثل النظر والفرجة، وبصرف النظر عما توحيه بعض أنواع هذه الصور من وثنية كصورة مريم كما يتخيلونها، أو صورة المسيح كما يتخيلونه، أو صور القديسين في زعمهم، أو صور آلهة كاذبة من الأوثان، وبصرف النظر عما توحيه بعض هذه الصور من قيم فاسدة لذهن منحرف. كصورة فتاة بكر عذراء عارية يطلق عليها صاحبها اسم الطهارة، وبصرف النظر عن توسع هذا الميدان حتى ليعمل في حقله ملايين ويتفننون فيه، حتى لا يبقى صورة خبيثة يمكن أن تخطر في خاطر إبليس إلا وقد وضعوها تصويراً أو نحتاً بين أيدي البشر، حتى حالات الجماع بأشكاله.. كل هذا لا مانع منه أليس فيه متعة الإنسان..

وفي المجتمع الكافر، الأدب تعبير عن ذات الإنسان، وعن نفسه في كل حالة من حالاتها الشاذة أو الحسنة، الخسيسة أو العالية، والأدب مسخر لتبرير كل شيء يصنعه

الإنسان، وتحبيبه للآخرين، تجد القصة التى تفتح للمرأة آفاق محبة غير زوجها، ويبررون لها هذا، ويفتحون لها الطريق، ويدلونها عليه، وتجد القصة التى تشوق الإنسان لأن يتميز عن الآخرين حتى فى الشر، وتجد القصة التى تثير العطف على المجرم على حساب الصحبة والمجتمع.

وتجد القصيدة التى تفضح من تريد، وتثير الغرائز وتدفعها إلى الزنا والحب الآثم دفعاً، ويأتى الغناء والموسيقى والخمر والحشيش والأفيون ونوادى الموسيقى والغناء ومحلات الزنا الرسمية أو السرية لتتمم خريطة المجتمع الشهْوانى، ليعيش وينام ويفكر ويسهر ويسمر فى عالم الشهوات وهكذا. فليست هناك عقلانية تضبط تصرفات البشر. المصلحة هى أن يتمتع أكثر ما يستطيع وأن يتمتع غيره بعده. الأخلاق هى تحقيق الرغبات والأهواء.

والله عز وجل يقول: ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ [المؤمنون: ٧١]. ويقول: ﴿ **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً** ﴾ [النساء: ٢٧].

أما المجتمع الإسلامى فمجتمع يكفر بالنحت وما يحيط به من تصوير وتمثيل، لأنه طريق إلى الوثنية، وطريق إلى قضاء الوقت فى غير طائل، وطريق إلى إضاعة المال، وطريق إلى ترسيخ مفاهيم فاسدة، وطريق لنشر الفاحشة، وأخيراً طريق يسلكه الكفرة فلا نقلدهم به ولا نتابعهم عليه. إذ هو مظهر فاسد من مظاهر الفكر الإنسانى الخرف، والضلال الفظيع. وقد يقول قائل أن الأرض ما عاد يخشى عليها من الوثنية ونقول: أدخل كنائس النصارى فى الأرض ألا تجد عبادة الصور؟. ثم انظر التماثيل التى نصبها الجاهليون لزعماء ماتوا أو قتلوا أو هم يعيشون، ألا ترى أن الناس يحترمونها كما يحترمون صاحبها، وإذا ما مات سيزداد هذا الاحترام، وهل ذلك إلا وثنية؟ ويظهر أن قائل هذا الكلام لا يعلم أن هناك شعوباً لا زالت وثنية، وليست المسألة هذه فقط. ادخل كلية من كليات النحت والفن وما يسمى بهندسة الديكور لترى الأجساد العارية تعرض وترسم وتنحت، وادخل معارض المصورين لترى كل خفى. أن الإنحراف قد يكون بدايته بسيطاً.

إن الله يأبى على المسلم هذا الطريق، ويأبى أن تنفق أموال الأمة على هذا، ويأبى أن يكون عندنا مئات الأساتذة الذين يأخذون رواتبهم من مال الأمة ولا تجنى الأمة منهم سوى أن يعلموا أولادها أن يرسموا بدلاً من أن يعلموها ما يفيد كالخط الجميل والرسم الهندسى..

أن مجتمعاً إسلامياً لا يمكن أن ترى فيه هذه القضايا أصلاً:

نحاتون، رسامون، مصورون، مختصون فى أجزاء هذه الفنون تعطى لهم المكانة الأولى بين الناس، ليس هذا من شيم المسلمين، وإذا كان هذا فى مجتمع كافر محترم، فإن أمثال هذا وهؤلاء فى مجتمع إسلامى محتقرون، ولا محل لهم رسميا فى المجتمع الإسلامى أو دوائر دولته الرسمية.

يقول عليه السلام كما يذكر ابن عباس إذ قال له رجل: إنى أصور هذه الصور فأفتنى فيها فقال له: أدن منى فدنا ثم قال له أدن منى فدنا حتى وضع يده على رأسه وقال: أنبئك بها سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول: (كل مصورٍ فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا تعذبه فى جهنم فقال إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له) رواه الشيخان والنسائى.

وفى المجتمع الإسلامى جمال المرأة وجسمها وثيابها وفتنتها وكل ما تستطيع استكماله فى هذا لزوجها فقط. إذ هو الوحيد الذى له حق الاستفادة من هذا، أما الآخرون فليس لهم حق التمتع فى شىء من هذا، حتى المحارم والأقارب. والنساء الذين أبيح لهم النظر إلى زينة المرأة ضمن حدود، فإنهم لا يجوز لهم أن ينظروا بشهوة، أو تريهم هى نفسها شيئا منها بهذا القصد.

ليس فى المجتمع الإسلامى أى محل لإثارة غرائز البشر إلا عن الطريق الأوحد لذلك وهو الزواج: فلا تبرج فى طريق، ولا ملابس مغرية قصيرة شفافة واصفة لامرأة أمام أجانب: إن مجتمعنا يحب ما يحبه الله له، فإذا أحب الآخرون أن يتمتعوا بالجمال فإنه يحب أن يتمتع بطاعة الله، ويحب أن يتمتع بالحشمة والطهارة والعفة والستر، وبدون هذا فلا إيمان أصلاً. قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به).

وفى المجتمع الإسلامى الأدب لإصلاح نفس الإنسان، وليس لمجاراة أهوائها، وللترويح عنها بالحق الذى لا يخرجها إلى باطل. سواء فى ذلك القصة، أو المقامة، أو التاريخ، أو القصيدة، أو المقالة، أو المحاضرة.

والغناء إنما يكون ضمن هذه الحدود، يغنى الرجل حداء أو نشيداً، فيسمع الرجل، وتسمع المرأة، ولا حرج، بشرط أن يكون الحداء أو الغناء نظيفاً، وتغنى المرأة للنساء بشرط نظافة الغناء ولا حرج.

أما الموسيقى فما كان منها أداة رجولة كالطبل والدف جاز للحرب وللحج وللفرح، وما كان منها أداة تسلية لغير الفسقة والكفر، ولا يدعو إلى ما يحرم. ولا يزين الدنيا حتى تكون هدفاً كشاهين الرعاة جاز، وما كان لإثارة الغرائز، وما كان من عادة الكفار والفساق استعماله، وما كان للهو والقصف المحض، كالعود وكل الأوتار والمعازف فلا..

فلا يكون فى مجتمع إسلامى مدارس لتعليم الموسيقى، ولا يكون فيها كليات لهذا، ولا تكون دروس فى مدارسنا لمثل هذا، ولا تخصص الأموال لأمثال هذه القضايا، ولا يكون لهؤلاء المغنين والموسيقيين شأن، بل هم محتقرون فى حالة الإثم، وعاديون فى حالة بقائهم فى المباح، إلا منشداً حسن الصوت يثير عواطف طيبة، وبهذه الشروط تبقى المسألة كالملح للطعام يكفى القليل منه فإذا ما كثر أفسد.

وعلى هذا فلا يصح أن يكون فى مجتمع إسلامى دور خاصة لأمثال الموسيقى أو غناء النساء، ولا يصح أن تكثر إذاعات المسلمين من أمثال حتى المباح، وإنما يكون ما تقدمه هذه الإذاعات كالملح وبلا موسيقى، وفى أيام الأعياد والأفراح لا مانع أن توضع الأغانى التى يرافقها الدف، وما أبيح من آلات الفرح كشاهين الرعاة المذكور.

* * *

ونظرة واحدة إلى موقف المسلم من قضايا الفن والجمال بشكل عام، تريك أن هذا هو الموقف الوحيد المعقول، اقتصادياً، وسياسياً، وتربوياً، وتعليمياً، وحربياً، ونفسياً، فكم نحفظ أوقات تضيع بلا انتاج؟ وكم نحفظ تماسك نفسيات الأمة، فنجعلها تعيش وهى مستيقظة على قضاياها، وكم نوجه الطاقات إلى ما ينبغى أن توجه إليه بمثل هذا؟ وكم نحفظ على أمتنا روحها الحربية، واستعدادها للتضحية بهذه المواقف؟.

إن المجتمع الذى يعيش بين أحضان النساء، ويتربى على اتباع الشهوات، ويعتاد على حياة اللهو والقصف واللذة، مجتمع يتحلل شيئاً فشيئاً فتتكون عنده عقد اللامبالاة، ويفقد تطلعاته إلى المثل العليا، وتتخدر إحساساته ومشاعره، ويعيش للدنيا فقط.

* * *

٢ - القومية والوطنية والعنصرية والعصبية القبلية:

المجتمع غير المسلم تربط بين أفراده رابطة الوطن، بصرف النظر عن غيرها، أو رابطة الوطن مع القوم، بصرف النظر عن غيرهما، أو يربط فيما بينهم كونهم بيضا مثلاً، أو أبناء قبيلة واحدة، فيكون ولاؤهم فى هذه الأحوال لمجرد هذه الروابط، فما فيه منفعة لوطنهم يقبلونه، وما فيه مضرة لا يفعلونه لأجل الوطن، وما فيه منفعة للقوم يفعلونه، وما فيه مضرة لا يفعلونه لأجل القوم، وما فيه مصلحة للجنس يفعلونه، وما لا فلا. من أجل الجنس ولاؤهم لبعضهم على هذا الأساس، وحربهم على هذا الأساس، ومن أتاهم من غيرهم لا يعطى مثل حقوقهم، ولا مثل معاملتهم، بل قد يحتقر وقد يهان وقد يطرد.

أما المجتمع الإسلامى فارتباطه بالوطن والقوم بمقدار ارتباط هذا الوطن وأهله بالإسلام، فولاء المسلم لإسلامه أولاً وأخيراً، فإذا كان فى وطن كافر فإنه مع المسلمين على أبناء وطنه، وإذا كان مع القوم الكافرين فهو مع المسلمين عليهم، فهو لا يعتبر وطنه إلا بلاد المسلمين، ولا يعتبر قومه إلا المسلمين، وإذا هاجر المسلم من أى جنس وأرض ولون وقوم إلى المجتمع الإسلامى ووثق منه يكتسب كامل حقوق المسلمين، ويعامل نفس المعاملة التى يتعامل بها المسلمون فيما بينهم. أما العنصرية فغير موجودة أصلا، فالأسود والأبيض فى ميزان الكرامة الإنسانية سواء، وقد يكون أسود أعلى عند المسلمين من آلاف البيض، وإن بلالاً لأحب إلى المسلم الأبيض من أخيه المسلم لأن بلالاً أرقى فى ميزان الإسلام من أخيه.

أما العصبية للقبيلة والأسرة فقد هدمها الإسلام تهديما، وأقام بدلها العصبية للحق يقول عليه السلام: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره) البخارى والترمذى.

وهذه هى النصوص التى تدل على ما ذكرناه:

﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً** ﴾ [النساء: ٦٦].

فأمر الله عند المسلم أغلى من وطنه وأغلى من نفسه فضلا عن قومه.

قال الله تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: ٢٢] فالمسلم مع المسلم على أخيه وأبيه وعشيرته، فكيف يتخلى عن إسلامه من أجل قومه وقوميته وهو يحب لو أجرى دماءهم جميعاً إذا كانوا كافرين محاربين لله ورسوله ودينه.

وقال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣] فلا لون ولا جنس يتفاضل به البشر عند الله، وإنما يتفاضلون عند الله بالتقوى. فمن كان أحسن إيماناً وإسلاماً وإحساناً كان أقرب إلى الله ولو كان عبداً أسود ولو رقيقاً.

روى الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخرء بأنفه إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء وإنما هم مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب) ولمسلم والترمذى عن جندب عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية).

٣ - الحـــرية:

فى مجتمع كافر الشعار مزيداً من الحرية. مزيدا من حرية الدولة أن تفعل ما تشاء كما فى النظام الشيوعى، أو مزيداً من حرية الشعب والدولة كما فى النظام الديمقراطى، حيث يريد الناس مزيداً من الحرية الاقتصادية، ومزيداً من الحرية السياسية، ومزيداً من حرية السلوك والتصرفات، ومزيداً من حرية النفس، حتى وصلوا إلى أنهم أصبحوا يريدون أن يكون هدفهم الأعلى هو حياة الحيوان، فيتعرون كما يتعرى الحيوان، ويتسافدون كما يتسافد، وكل آمالهم حيوانية وهكذا..

أما المجتمع الإسلامى فعلى العكس من ذلك تماما. شعاره مزيدا من العبودية لله ومزيدا من إحكام الإرتباط مع الإسلام، على مستوى الشعب، أو على مستوى الدولة. فراحة المسلم واطمئنانه، وراحة المجتمع المسلم وأمله هو فى عبوديته لله وحده، بطاعة أمره ونهيه فى كل شىء. فى السياسة، أو الاجتماع، أو الاقتصاد، أو السلوك.

إن المجتمع المسلم تقوم أواصره على أساس الإيمان بالله.

وهو لذلك يذعن لقانون العبودية له، ويراها واجبا عليه، وحقاً لله الذى خلقه:

ويعتبر هذه العبودية هى المظهر العملى الذى يشكر به الإنسان الله عز وجل، على أن سخر الكون كله لصالحه، وهنا يفترق طريق المسلم عن الكافر. الكافر يستفيد من الكون ناسيا من خلقه وسخره له، والمسلم يحفظ هذه الحقيقة دائماً فيذكرها إذا أكل، وإذا شرب، وإذا لبس، وإذا عوفى، وإذا مرض.. إن الحرية فى المجتمع الإسلامى هى حرية المسلم فى تطبيقه الإسلام، وحريته فى قمع المنحرفين عن الإسلام، وحريته فى أن يخضع البشر لسلطان الله، وحريته فى ألا يجعل غير عبد الله يتمتع بحرية إلا بالمقدار الذى يأذن به الله عز وجل، إذ هو مالك الكون والإنسان.

﴿ **وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ [يس: ٦١].

* * *

وإذن فما دام الإنسان ضمن شعار العبودية فهو يملك كامل الحرية:

فلا يدخل بيته إلا بإذنه قال تعالى: ﴿ **لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ [النور: ٢٧].

ولا يعتدى على جسمه ولا نفسه ولا ماله ولا عرضه.. ويتكلم فيرد على الكبير ولو كان أمير المؤمنين إذا أخطأ، وينتخب من شاء لإمرة المؤمنين، ولكنه يلتزم بطاعة من تكون له الولاية ولو لم ينتخبه، ما دامت إمرته شرعية. فالحرية السياسية له مصونة، وحرية الرأى والاجتهاد له مصونة، وحرية النقد والقول له مصونة، والحرية الاقتصادية له مصونة، وحرية التصرفات له مصونة، فهو كامل الحرية فى كل شىء ما دام ملتزماً بالحق والعمل اللذين أمر الله بهما، ولم يخرج عليهما، أى ما دام ملتزما بالعبودية لله.

هذا بالنسبة للمسلم. أما غير المسلم فى أرض الإسلام فما دام ملتزماً بما عاهدنا عليه فله كامل الحرية ضمن ما عاهدناه عليه، فإذا ما خرج على العهد فالذنب ذنبه.

فما أعظم الفرق بين مفهوم الحرية السليم الواضح الصحيح عند المسلمين، ومفهوم الحرية الغامض الفوضوى المدمر عند غير المسلمين.

* * *

٤ - الإخاء والمساواة:

فى مجتمع كافر يمكن أن يتآخى الناس ولو على دخل مع اختلاف عقائدهم، ويمكن أن يتساووا ولو اسماً فى الحقوق والواجبات.

أما فى مجتمع إسلامى فلا، لأنه لا يمكن أن يتساوى أهل الحق والباطل، ولا يمكن أن يتآخى أهل الحق والباطل، والحق والباطل مختلفان، فالمسلم لا يمتع غير المسلم بأخوته قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠] فقط. والمسلمون متساوون فيما بينهم بالحقوق والواجبات قال رسول الله ﷺ: (المسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) ولكن لا يمكن أن يتساوى معهم الكافر، فإذا كان لهم العزة فله الذلة. ولكن ليس معنى هذا أن يظلم بل نفى له بما عاهدناه عليه إذا وفى لنا بما عاهدنا عليه.

إن فكرة الإخاء بين المسلم والكافر فكرة خبيثة كافرة، يخرج بها المسلم عن الإسلام. وفكرة المساواة بين المسلم وغير المسلم خبيثة، يخرج بها المسلم عن الإسلام. كيف والله عز وجل يقول:

﴿ **حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٢٩].

﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ [الرعد: ١٦].
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].
﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

* * *

وأخيرا: إن المجتمع الإسلامى مجتمع متميز بقيمه ونظراته وأخلاقه وعاداته وتقاليده وتشريعاته. مجتمع لا مثيل له، مفتوح لكل البشرية أن تدخل فيه لأنه مجتمع الحق الذى لا حق غيره. إن تميزنا ليس عاراً لأنه تميز الحق، وإنما العار عند الذين لا يقبلون الحق، ويدخلون فيما دخلنا فيه، ويصبحون منا وفينا. إن أهل الباطل هم الذين يعيرون، أما نحن فبهدى الله نعتز وبالحق الذى أنزله علينا نفتخر ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ﴾ [يونس: ٣٢].

(١٠)

وكما يتميز الفرد المسلم والمجتمع المسلم تتميز الدولة المسلمة.

فالدولة الكافرة إما دولة تحكم الشعب بإرادته لتحقيق رغباته وإرادته.

وإما دولة تحكم شعبها غصبا عنه لتحقيق رغبات أفرادها وإرادتهم.

أما الدولة المسلمة المتمثلة بأمير المؤمنين، فلا يصح أن تحكم المسلمين إلا برضاهم، ولإقامة الكتاب والسنة، وهذا مفترق الطريق. الشعب الكافر يريد من حكومته أن تحقق له ما يريد، فإن أراد اليوم عكس ما أراده الأمس كان على الدولة أن تحققه له، ولو أراد بعد غد عكس مراده اليوم، فإن على الدولة أن تفعل. أما الدولة المسلمة فإنها تبايع شعبها على الالتزام بالكتاب والسنة، وإلزامه بالكتاب والسنة فلا هى تستطيع الخروج عنهما، ولا تسمح لأحد أن يخرج عنهما، مع التزامها بأن تستشير المسلمين فيما يهم المسلمين فهذه ثلاث قضايا:

١ - المسلمون يختارون أميرهم منهم برضاهم، ولا يجوز أن يسوسهم أحد غصبا عنهم.

٢ - قال ﷺ: (من أم قوما وهم لإمامته كارهون لم تجاوز صلاته أذنيه).

وعن ابن عباس عن عبد الرحمن بن عوف قال: (لو رأيت رجلاً أتى عمر اليوم فقال هل لك يا أمير المؤمنين فى فلان يقول: لو قد مات عمر لبايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت فغضب عمر فقال: إنى إن شاء الله تعالى لقائم

العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم . .) فأنت ترى أن عمر اعتبر تأمير إنسان دون أن يكون للمسلمين رأى فيه غصب حق من حقوق المسلمين . . إذن فالمسلمون يختارون أميرهم برضاهم، لا يشاركهم فى هذا الاختيار غيرهم من أهل الذمة .

٢ - والمسلمون يبايعون أميرهم على أن يقيم فيهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال ﷺ : (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشىء كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى) أ خرجه البخارى .

٣ - إن الأمير ملزم باستشارة المسلمين فيما يعرض له من قضايا، ولا شورى فى شىء منصوص عليه فى الكتاب والسنة، فلا رأى مع النص، فإذا وجد النص التزم به الحاكم والمحكوم، ولكن فى عقد أو حرب أو صلح أو مصلحة أو مضرة أو التزام أو إلزام .

قال تعالى : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٨] .

فنقطة التميز المهمة فى الدولة الإسلامية أنه لا قيمة لهوى أحد أو إرادته أو رغبته إذا عارضت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنه ليس لغير المسلمين رأى مع المسلمين فى اختيار الأمير، بل أكثر من هذا ليس لغير الملتزمين بالإسلام رأى مع الملتزمين به فى اختيار الأمير .

* * *

وبما قدمناه نكتفى فى إثبات تميز المسلم والمسلمين تميزا نابعا عن عقيدة متميزة تميزا يخرجهم عن كل باطل، وعن كل ضلال، وعن كل سفه، وعن كل خفة، وعن كل كفر ونفاق، إنه تميز كله حق، لأنه من عند الحق عز وجل المبين فى كتاب الله الحق وسنة رسوله الحق .

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴾ [الشورى : ٥٢ ، ٥٣] .

* * *